منارات
manarat

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير
فخري كريم

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

العدد (2048) السنة الثامنة - السبت (19) شباط 2011

শেখ মুজিব

صلاح جاهين

شاعر الثورة وفيلسوف الفقراء

فرانسوا باسيلي

لاتستطيع ان تستحضر للذاكرة العبقرى المصرى المبدع صلاح جاهين (١٩٣٠-١٩٨٦) الا وتحضر معه بالضرورة كوكبة من المبدعين الذين زاملوه واشتركوا معه فى صنع السيمفونية الباهرة للثقافة والفنون والفكر التحرري المثير فى عصر مصر الذهبي فى الخمسينيات والستينيات من القرن العشرين.

فيحضر معه بالضرورة زميلاه الشاعران أحمد عبد المعطى حجازى وصلاح عبد الصبور وكان الثلاثة يعملون فى غرفة واحدة تضم مكاتبهم الثلاثة فى دار روز اليوسف ويقول حجازى: "كان جاهين أكثرنا نشاطا ومرحا وحضورا، كان يرسم وينظم بالعربية وكان احيانا يغنى بعض الأغنيات الاسبانية من تراث الحرب الأهلية، بالاضافة الى أغنيات روسية، وفى تلك الغرفة سمعت من صلاح جاهين معظم أغنياته التى نظمها فى الخمسينات وأوائل الستينيات: ويقول حجازي انه رغم بدانة جاهين فإنه هو الذى علمه رقصة الفالس! ويقول حجازي: "لم يكن صلاح جاهين صوتا بسيطا مفردا، وإنما كان مجمع أصوات، كان صوت مصر وصوت البشرية، صوت الجماعة فى الواقع وفي الحلم معا، صوت جماعة ناهضة حرة متقدمة سعيدة منتمية لحضارة العصر مشاركة فى صنعها. فصلاح جاهين ليس ثمرة تراث قومي مغلق وانما هو ثمرة التراث القومي والتراث الانسانى، وهو يدين للوركا وبول إيلوار بقدر مايدين لشوقى وبيرم التونسى."

كما لابد أن يحضر معه للذاكرة أيضا شاعر مصر الكبير صلاح عبد الصبور. ليكون هو المقابل المخالف المضاد لصلاح جاهين ربما فى كل شئ، روحا وجسدا، شكلا وموضوعا، فعبد الصبور هادئ حزين متشائم، يكتب بالفصحى شعرا للنخبة المثقفة عاكسا ثقافة عالمية نخبوية، بينما جاهين صاخب مرح متفائل يكتب بالعامية لعامة الشعب شعرا وغناء يفوح برياحين صبايا القرى وأحلام رجل الشارع وتعبه اليومي، دون ان يتخلى عن عمق انساني فلسفي بالغ التأثير. ولايشترك "الصلاحان" – جاهين وعبد الصبور- سوى فى أن كليهما استطاع ان يؤثر تأثيرا حاسما على جيله فى مجال ابداعه. فيمكن القول أن عبد الصبور قد شكل الذائقة الشعرية والوجدانية لجيل مصرى كامل بقصيدة واحدة هي "احلام الفارس القديم"، والتى اعترف بعض رواد الشعر فى الجيل التالي أنهم كانوا يجوبون طرقات القاهرة ليلا منشدين المقاطع الشهيرة لهذه القصيدة بصوت مرتفع.

وبينما قام عبد الصبور بتشكيل الذائقة الشعرية لجيل كامل من الشعراء من بعده، قام جاهين بتشكيل الذائقة الوجدانية لجيل الثورة بأكمله، شعراء وفقراء وبسطاء وعمالا وفلاحين وموظفين وعاشقين وحالمين. من هنا تأتى أهمية هذا الشاعر الشعبي العظيم، ولهذا أقوم بالمقارنة بينه وبين صلاح عبد الصبور، فبينما نال عبد الصبور تقديرا كبيرا مستحقا فى الوسط الثقافي المصري، فإن جاهين فى اعتقادى لم ينل مايستحقه من تقدير يناسب انجازاته الهائلة فى ميادين الابداع المتنوعة التى طرقها، من الرسم الكاريكاتورى الى شعر العامية والزجل والاغنية والأشعار المسرحية والسينمائية والفوازير التليفزيونية ومسرح العرائس والسيناريو السينمائي فضلا عن الأناشيد الوطنية التى صنع منها جاهين فنا جديدا قائما بذاته .

شاعر الثورة

بينما اجد بعض النقاد يطلقون على صلاح جاهين لقب "مغنى الثورة" لان كل ماكتبه كان يتحول الى أغنيات ثورية شعبية بصوت فنان الثورة عبد الحليم حافظ بألحان الموسيقار الفريد كمال الطويل، وربما مع بعض التردد فى اطلاق لقب شاعر الثورة عليه، فى ميل للإحتفاظ بلقب شاعر لمن يكتبون بالفصحى، الا أننى لاأجد أى محل للتردد فى وصف جاهين بشاعر الثورة المصرية، فهو وحده من استطاع ان يترجم مشاعر وأحلام وأفراح ملايين المصريين الى كلمات حية متوثبة مليئة بالدفء والزهو والنشوة. فبينما كتب عبد الصبور وحجازي بعض القصائد الفصحى المعبرة عن بعض جوانب تلك الفترة، فإننا لانجد فى قصائدهم تلك حرارة ولهفة وصدق المشاعر اللافحة التي نجدها فى كلمات جاهين، كما وكيفا، ولعل من المفارقة ان القصيدة الوحيدة الدافئة الحس المرهفة الصدق التي كتبها حجازي فى تلك المرحلة بأسرها هي قصيدته العميقة فى رثاء عبد الناصر "مرثية الزمن الجميل" بينما –على العكس- كان رحيل عبد الناصر هو نهاية مرحلة الشعر الثورى لدى جاهين. فى أشعاره "الثورية" لم يكتب جاهين شعارات باردة جوفاء بل استطاع ان يغوص فى اعماق الانسان المصرى المتطلع الى عالم أفضل ليستخرج منه بكلمات عامية بسيطة وبليغة فى آن واحد، أجمل ما فيه من أغنيات ومزامير راح ينثر بها البهجة والفرح الحقيقي بالفجر البهي القادم على الأفق. لم تكن فى كلماته أية ظلال لافتعال سياسي او تعبوى، بل كانت مشاعر عفوية صادقة ترقص فى قلبه المتفائل المحب للحياة فتتحول عبر شاعريته الأصيلة الى أناشيد للفرح والحب واللهفة المتوثبة. ولأن هذه المشاعر كانت تعبيرا صادقا عن الوجدان المصرى الجارف فى تلك المرحلة، لم يكن صعبا على مبدع مرهف آخر مثل كمال الطويل أن يضع لها ألحانا نابعة من عمق الوجع المصرى الطويل وصاعدة في نبرات متسرعة لاهثة فرحة متشوقة للغد الأجمل الذى وعدت به القلوب الفائرة الثائرة.

وبهذا الصدق والفرح والتفاؤل كتب جاهين –وغنى عبد الحليم- أناشيد إحنا الشعب (٥٦) وبالأحضان (٦١) والمسئولية (٦٣) ويالأهلا بالمعارك (٦٥) وصورة وناصر وغيرها. وكان من المدهش حقا إستقبال الجماهير لهذه الاناشيد وتجاوبها معها حفظا وغناء وكأنها أغنيات فى الحب والصبا والجمال وليس فى الثورة والحرية والكرامة بل والسياسة الاقتصادية (على راس بستان الاشتراكية/ واقفين بنهدس ع المية/ أمة أبطال/ علما وعمال / ومعانا جمال..)

مزامير الحب والبهجة

فى الوقت نفسه الذي كان يكتب فيه جاهين هذه الأناشيد الوطنية الشعبية الواعدة، كان يكتب أيضا مزامير الزهور والحب والبهجة . فهو عاشق للحياة يحبها بحس شاعر ونزق طفل وتهور شاب مقبل على مباهج الأحلام المنتظرة فى فرح حقيقى. ان علاقة جاهين بالفرح علاقة اساسية حميمة.

يقول فى رباعياته الشهيرة:

أنا اللى بالأمر المحال إغتوى
شفت القمر نطيت لفوق فى الهوا
طلته ماطلتوش إيه انا يهمنى
وليه مادام بالنشوة قلبى ارتوى
عجبى

ويقول فى رباعية أخرى:

فتحت شباكى لشمس الصباح
مادخلش منه غير عويل الرياح
وفتحت قلبى عشان أبوح بالألم
ماخرجش منه غير محبة وسماح
عجبى

وفى تأكيد على أهمية الفرح العام الجهوري المعلن يقول:

كرباج سعادة وقلبى منه انجلد
رمح كأنه حصان ولف البلد
ورجع لى نص الليل وسألنى ليه
خجلان تقول أنك سعيد ياولد؟

ويقول فى شعر الغزل والشقاوة والمحبة:

يا بنت يام المريله كحلى
ياشمس هاالله، وطاالله م الكومه
لو قلت عنك فى الغزل قوله
ممنوع عليا والا مسموح لى؟

وفى رباعية غزلية أخرى يقول:

اوقات افوق ويحل عنى غبايا
واشعر كأنى فهمت كل الخبايا
أفتح شفايفى عشان اقول الدرر
مااقولش غير حبة غزل فى الصبايا
عجبي.

مسئولية الكلمة

يعرف صلاح جاهين مسؤوليته كمبدع وكشاعر. كثيرا ما يشير الى الصمت فى شعره كمرادف للموت، ويشير الى الكلمة كمرادف للحياة. يقول فى قصيدة بعنوان "اتكلموا":

اتكلموا.. اتكلموا.. اتكلموا
محلا الكلام، مالزمه، مأعظمه
فى البدء كانت كلمة الرب الاله
خلقت حياه والخلق منها اتعلموا
فإتكلموا
الكلمة ايد الكلمة رجل الكلمة باب
الكلمة لمبة كهربية فى الضباب
الكلمة كوبرى صلب فوق بحر العباب
الجن ياأحباب مايقدر يهدمه
فاتكلموا

وفى رباعية جميلة يقول:

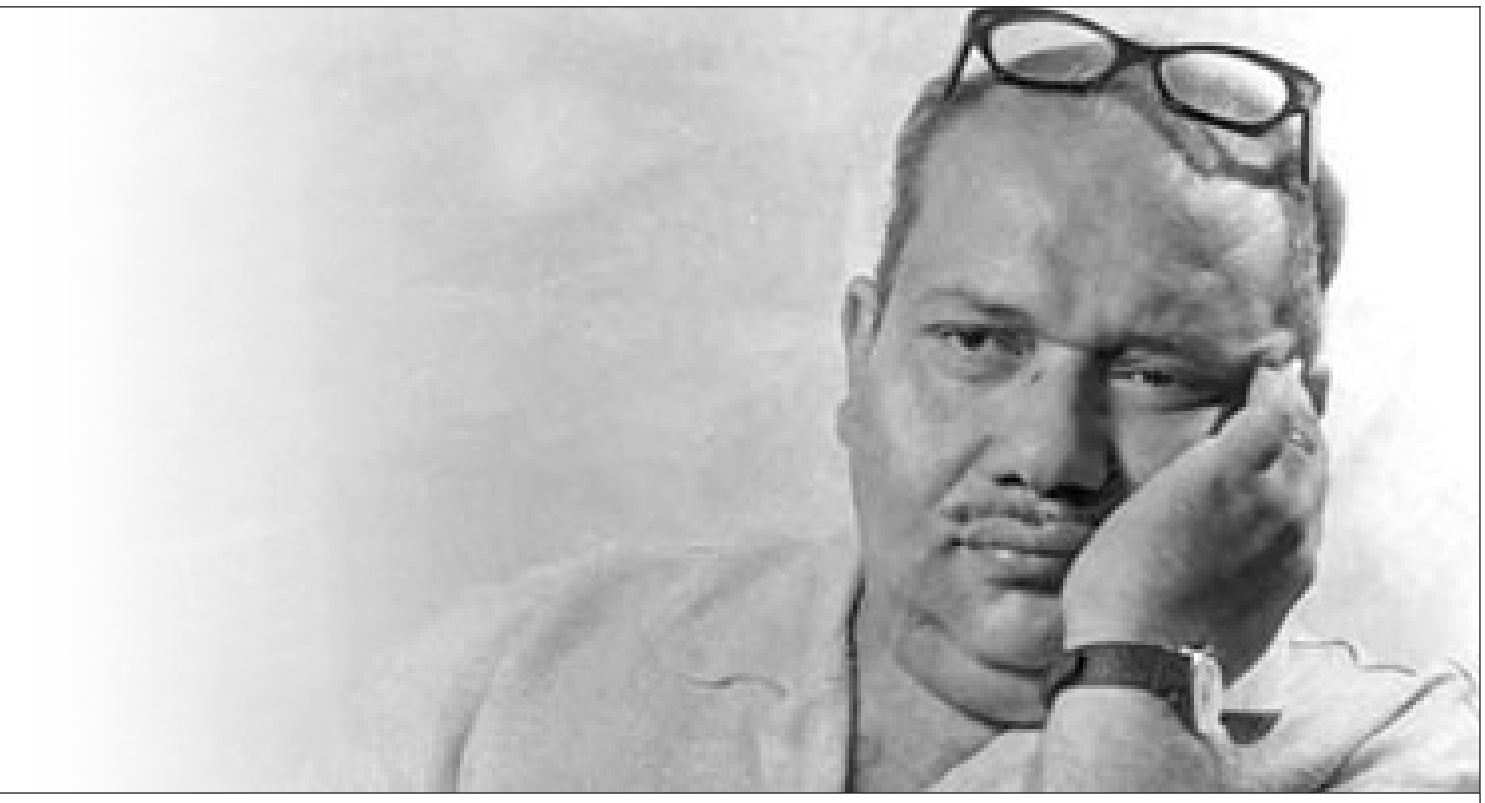

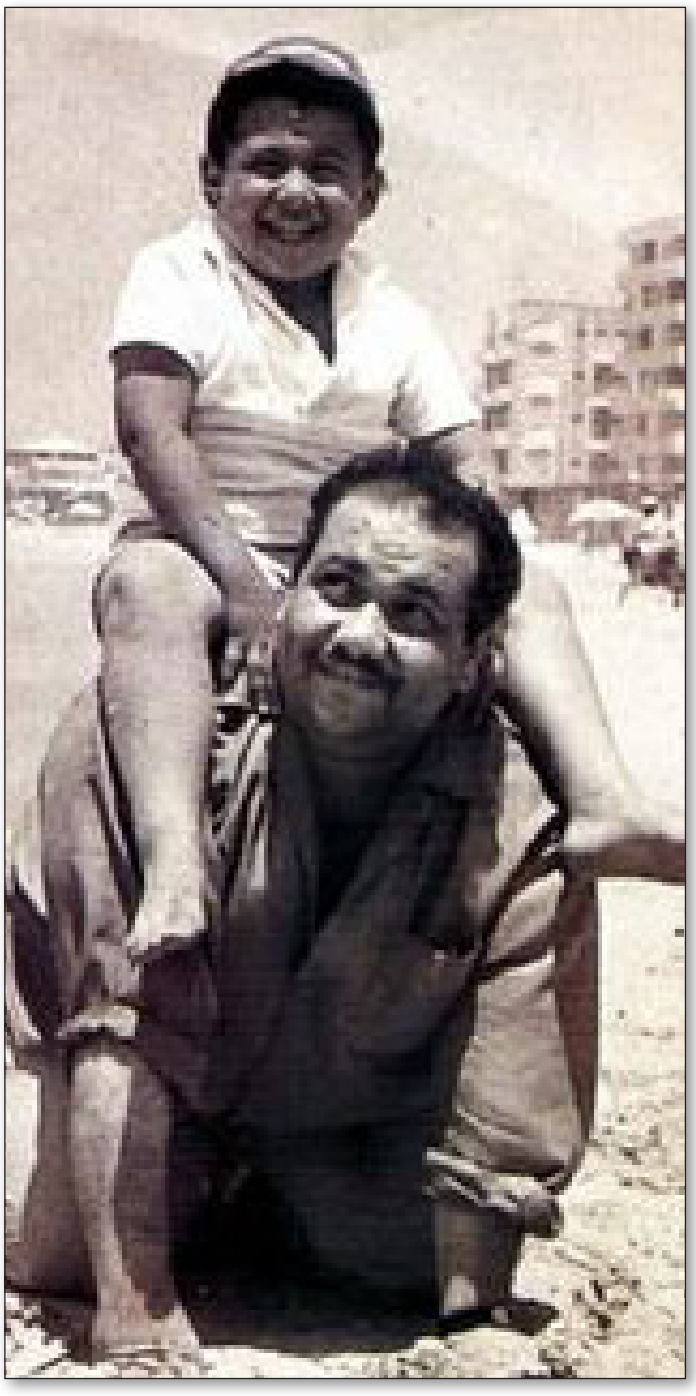

ياعندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك واحكى على بلوتك
الغنوه مش حتموتك..... إنما
كتم الغنا هو اللى ح يموتك

فيلسوف الفقراء

ينفرد جاهين بخاصية هامة تمنح شعره –على بساطته وعاميته– بعدا فلسفيا لانعرف له مثيلا لدى شعراء العامية الآخرين بل ولانعرف له مثيلا لدى شعراء الفصحى المصريين، فيما عدا رفيقه صلاح عبد الصبور الذى إتسمت معظم أشعاره بأبعادها الفلسفية والانسانية الشاملة. وهنا ايضا –وعلى الأخص– لم يحصل جاهين على حقه من التقدير، بسبب النظرة العدائية من الوسط الثقافى النخبوى للعامية، وربما بسبب التحيز للفصحى والخوف عليها، مع قدر من عدم التصديق لإمكانية ان تقول العامية الدارجة معان تقرب من مدار الفلسفة المقدس. ولكن لايصح ان يمنعنا مثل هذا الموقف الاستعلائي الزائف والخائف من ان نخوض فى رفق وحدب فى أعماق أشعار جاهين لنكتشف مابها من جواهر فكرية ووجدانية بديعة. فإنك لتجد فى رباعياته أصداء لفلسفة سارتر الوجودية ولمواقف البير كامو فى اغترابه ولجرأة نيتشه الذي لم تكن فلسفته سوى شعرا مكثفا. بالإضافة الى نهل جاهين من التراث الفلكلوري المصري والعربى الاسلامى والمسيحى. ومزجها كلها فى صوت صادق متفرد هو صوته وحده. ولننظر الى بعض رباعياته التى يمكن اعتبار كل رباعية منها أطروحة فلسفية كاملة تطرح كل منها أحد الأسئلة الوجودية المهمة فى تصوير بالغ الإيجاز والإيحاء والدهشة:

عيد والعيال اتنططوا ع القبور
لعبوا استغماية ولعبوا بابور
وبالونات ونايلونات شفتشى
والحزن ح يروح فين جنب السرور!
عجبى

الدنيا صندوق دنيا.. دور بعد دور
الدكة هي .. وهي كل الديكور
يمشى اللى شاف ويسيب لغيره مكان
كان عربجى او كان امبراطور
عجبى

أنا شاب لكن عمري ولا ألف عام
وحيد ولكن بين ضلوعي زحام
خايف ولكن خوفي مني أنا
أخرس ولكن قلبي مليان كلام
عجبى

علمى ان كان الخلق من أصل طين
وكلهم بينزلوا مغمضين
بعد الدقائق والشهور والسنين
تلاقى ناس أشرار وناس طيبين
عجبى

وكان هذا الفيلسوف الجميل مفتوح القلب سريع البديهه. وأذكر اننى استمعت اليه مرة فى برنامج إذاعى اسمه "جرب حظك" سأله فيه مقدمه عباس أحمد: من فى رأيك أعظم رسام كاريكاتير فى العالم؟ فأجاب جاهين الذي كان بدينا، قصيرا، أصلعا، وكأنه كرة ضخمة: الحقيقة أني كل ما بصيت فى المراية عرفت ان ربنا سبحانه وتعالى هو أعظم رسام كاريكاتور فى الدنيا ! فانفجر الجمهور ضاحكا.

عالمي النزعة

رغم ان صلاح جاهين كان يغنى للاشتراكية فى إخلاص المثقف المنتمى للفكر اليسارى المنحاز للفقراء والبسطاء بشكل اساسى الا انه كان مثقفا وليس

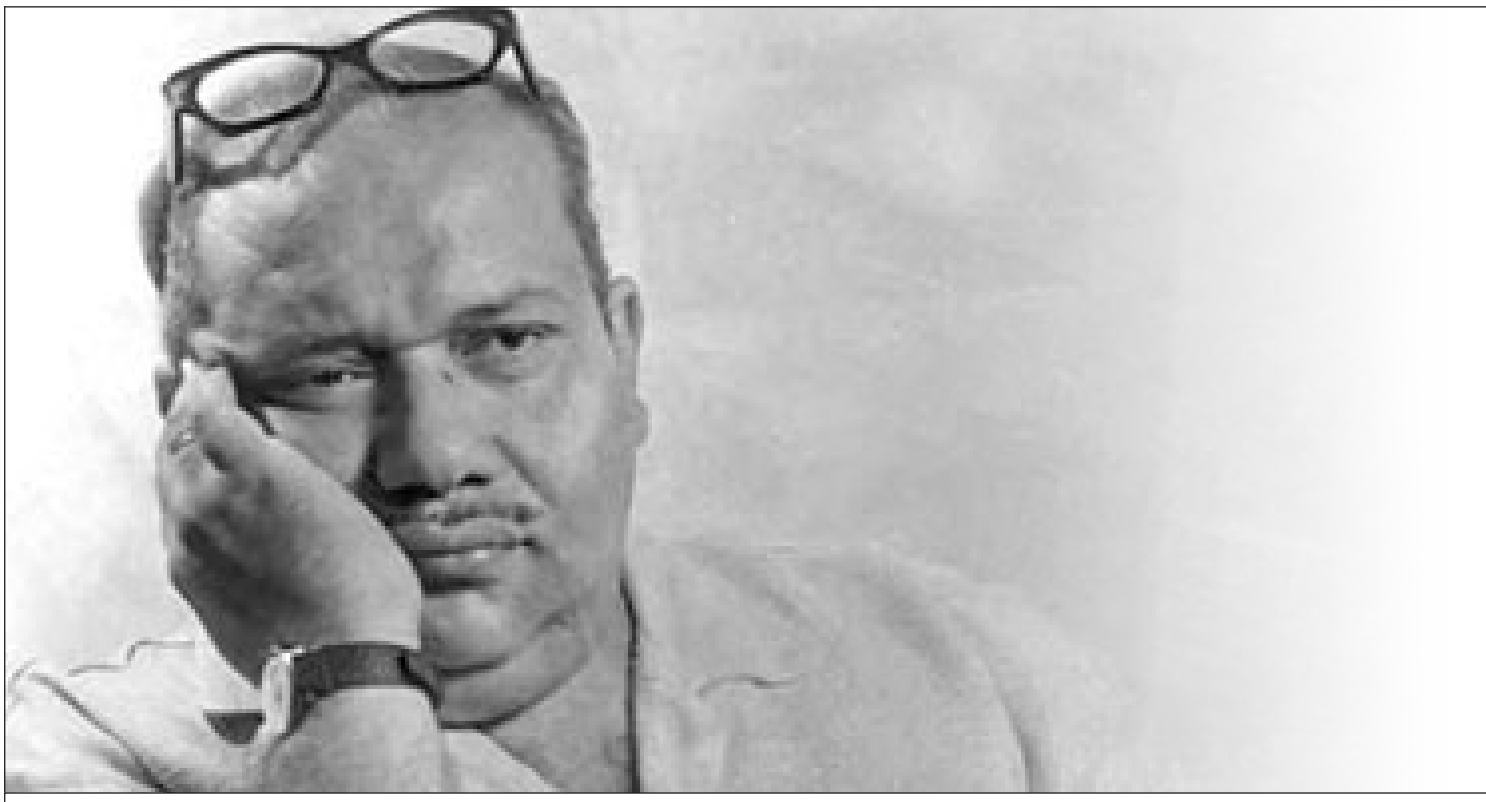

ايديولوجيا منغلقا. ومازلت أذكر أنه فى اليوم التالي لإغتيال الرئيس الامريكي الشاب جون كيندى فى عام ١٩٦٣ فوجئت فى جريدة الاهرام التي كانت تنشر لجاهين رسما كاريكاتوريا شهيرا كل يوم أنها تنشر له قصيدة رائعة فى رثاء الرئيس الامريكي لم أعد أذكر كلماتها ولم اجدها بعد ذلك ولكنى اذكر جيدا انه ختمها وهو يهتف ملتاعا باسم الرئيس الامريكى قائلا: ياجون.. يايوحنا المعمدان! وقد أثرت في نفس هذه الخاتمة المدهشة للقصيدة. ولم افهم للوهلة الاولى لماذا يخاطبه بيوحنا المعمدان. اذ كنت مازلت طالبا فى ذلك الوقت. ولم يكن فى ذهنى أن جون هي بالعربية يوحنا. فكانت هذه المقاربة الجميلة فى القصيدة والتى تدل على انفتاح جاهين السياسي والدينى معا، فلم تمنعه يساريته الفكرية من التعاطف مع رئيس امريكى شاب كان مثقفا ثقافه انسانية حقيقية وقف امام نفوذ التحالف الصناعي العسكرى فى بلده واشاع فى العالم كله أملا في مستقبل اجمل.. ولامنعته ثقافته الاسلامية من معرفة واستخدام رمز مسيحى شهير هو يوحنا المعمدان الذي كان يوصف بالصوت الصارخ فى البرية لقوته وشجاعته فى المجاهرة بالحق حتى اوصله هذا الى تقديم رقبته على طبق هدية لسالومى من الملك هيرودس أنتيبى الذى صرخ فى وجهه يوحنا المعمدان يوما: هذا لايحل لك!

فرسان الثورة

إستطاعت الثورة المصرية منذ ولادتها وبسبب اهتمام عبد الناصر بالثقافة والفنون والادب اساسا ان تخلق مناخا إجتماعيا مثيرا لعوامل الابداع الانساني فى جميع المجالات .. وانطلقت مع بداية الثورة وبشكل تلقائي مدهش شرارة الخلق والابداع الفنى والفكرى فى عدد هائل من الشباب المثقف الصاعد من قرى ونجوع مصر الزاحف نحو القاهرة والاسكندرية فإذا بمئات ومئات من المبدعين تتصاعد أنجمهم فى سماء مصر حاملين رايات ملونة زاهية لأعمال جديدة مدهشة فى كل مناحى الابداع.أرصد هذا لأوضح أن صلاح جاهين –وان كان حقا صوتا متفردا مميزا فى الشعر وفنانا مبدعا فى الرسم وغيره من الفنون – لم يكن وحيدا وانما كان واحدا من "جيش" مدهش من المبدعين المجددين الذين استقوا من ينابيع الجسد المصرى المتفجر بإرهاص الولادات الجديدة ووعود الاحلام المثيرة القادمة فى فورة إبداعية نعرف الآن أنها كانت –للأسف- إستثنائية فى تاريخ مصر المعاصر.

وقد كان لجاهين شاعر الثورة المصرية وواضع مزاميرها الجماعية المحفزة أثر كبير فى حركة النهضة الفكرية التحررية المواكبة، فقد راح فى رسومه وكلماته وأناشيده وأشعاره يرسم ملامح المجتمع الحر القادم فى عيون شباب وصبايا يعانقون أحلام الحب الجميل والحرية الاجتماعية والتحرر الفكري البادئ بالذات والممتد نحو الانسان فى كل مكان . وكان لهذه الفورة الابداعية والتفجر الغنى المثير فعل السحر في الشباب المثقف الصاعد الى حد انه حتى المثقفين الذين دخلوا السجون فى تلك الفترة بشبهة الميول الشيوعية او اليسارية المتشددة خرجوا منها وهم على إخلاصهم العجيب للثورة التى لم تتورع عن التهام عدة سنوات من شبابهم الحالم، وهى ظاهرة لا نعرف لها مثيلا فى التاريخ.

هل خان نفسه؟

حينما أصيبت الثورة المصرية بجرح هزيمة ٦٧ الغائر، ثم برحيل فارسها عبد الناصر عام ٧٠، شاهد جاهين كل شئ ينهار من حوله، فأصاب شاعر الثورة احباط الانكسار ودخل في صمت المطعون المكلوم. ومع صعود الرئيس "المؤمن" – الذى كان معروفا طوال سنوات الثورة بأنور السادات لنكتشف فجأة ان اسمه الحقيقى هو محمد انور السادات !– أطلقت الاشارة لبدء حركة الهجوم الوحشى والتشويه المجاني لكل جوانب الثورة، المظلم منها والمضي معا، حتى أن السد العالي نفسه – الذى أعترف العالم مخرا انه اهم عشرة مشاريع هندسية فى العالم فى القرن العشرين – لم يسلم من حملة التشويه الآثمة لإنجازات الثورة.

ولم يجد شاعر الثورة له مخرجا من نفق الاحباط وظلمة الاحساس بالغبن والضياع وربما لوم الذات وانكار الحلم بل ومعاداته سوى الدخول الى دوامة العمل السينمائي السهل في حركة هي اقرب الى حركات مهرج السيرك الذي يضحك الآخرين بقلب نازف – فكتب لصديقة دربه سعاد حسنى اغنيات فيلمها "خلى بالك من زوزو" الذى حقق نجاحا جماهيريا ساحقا، بين جماهير متغيرة كانت قد تعبت من وطئة احلامها طوال عشرين عاما، وتعبت من الحروب

صلاح جاهين .. شاعر البؤساء

شاكر فريد حسن

الكتابة عن صلاح جاهين هي كتابة عن موهبة اصيلة وصادقة استمدت من روحه المرهفة منبعاً لإلهامها، وعن واحد من القمم الأدبية المصرية التي تركت بصماتها في الشعر الشعبي العامي.
وصلاح من ابرز شعراء العامية والالتزام بهموم البؤساء والفقراء والكادحين ، الذين كان لهم أثر واضح في تحريك العواطف والهاب المشاعر والاحاسيس الوطنية الصادقة.
تميزت حياته بالعذاب والالم والمرارة ، ولازمه الاكتئاب النفسي طويلاً فطحن جسده وروحه الى ان قضى عليه، وهو في قمة عطائه في محراب الأدب والفن.
وجد صلاح جاهين ضالته في كتابة الشعر ورسم الكاركاتير الساخر في اواخر الاربعينات واوائل الخمسينات ، حيث بدأ رحلته مع الكلمة والريشة في مرحلة عاصفة في مصر، تصارعت فيها الاتجاهات والتيارات الفكرية المختلفة التي كان لها تاثير كبير على وعيه الذي قاده الى تجربته الشعرية الأولى ، وهو ديوان "كلمة سلام" الذي استهله بقصيدة "دموع ورا البرقع" التي تحكي وتصور معاناة العامل الكادح الذي يكابد آلام الفصل من العمل ويواجه محنة البؤس والفقر:

انا لوحدي ما فيش حاجه
مجرد اسم متشخبط على ورقه
في ايد واحد مدير اصله قومسيونجي
يقدمها لتركي ولا لخواجه
والمعارك والاناشيد، وارادت ان تنسى وترقص وتلهو على انغام تقول لها ان "الدنيا ربيع، والجو بديع، قفلي على كل المواضيع" وهكذا نظر بعض المثقفين في حزن الى شاعر الثورة وفارسها القديم وقد انكسرت قوادم احلامه (كما تنبأ صلاح عبد الصبور) وتحول مغني الجماهيرالى مضحكها . وهو دور استنكروه عليه ولكنه لم يستنكره على نفسه فقد كان دائما منحازا الى الجماهير البسيطة يعبر عن أحلامها وآمالها وعن ضحكاتها وأوجاعها . ولم يجد غضاضة في ان ينحاز اليها في لهوها ومزاحها وهو المنحاز أبدا للفرحة والبهجة.
وقد أراد له –وتوقع منه– البعض ان ينخرط –وهو شاعر الثورة– في حركة المعارضة الشعبية والطلابية لنظام السادات قبل حرب العبور كما فعل احمد فؤاد نجم بأشعاره الجارفة التي لحنها وغناها الشيخ امام والتي دخلا السجون بسببها . ولكن جاهين لم يفعل ولم يكن له ان يسير في درب غير دربه فعالمه الشعري ليس عالم احتجاج ومعارضة ضد النظام فقد كان منسجما مع النظام الناصري الذى كان منسجما مع أحلام الفقراء وآمال المثقفين معا، وجاهين المنحاز للفرح فى الحياة لم يجد في نفسه طبيعة الصدام والمعارضة والهجوم على الآخرين. بما فى هذه من العنف العاطفي والخشونة الوجدانية الضرورية للتحمل والصمود . نعم هو شاعر الحلم الثوري لكنه ليس شاعر الغضب والتصدي والتعدي، ولذلك كانت لأناشيده الثورية دائما جانب الاعراس المحفوف بالأجراس والمزامير والرقصات الشعبية، فليدع التصدي والمقاومة والغضب الشعبي لغيره من الشعراء مثل نجم. فهل كان فى هذا خائنا لنفسه أم متسقا معها؟
لاشك ان هذا سؤال سيستدعي إجابات متناقضة من نقاد مختلفين. اما انا الذى طالما اترعت قلبي مما كان يسكب لنا جاهين كل يوم من مياه المحبة والبهجة والأمل المثير فليس عندي له سوى فيضان من مشاعر العرفان والممنونية والإنحياز الحميم.
ولعل أجمل مايعبر عن حالة جاهين تلك بعد أنهيار أحلام الثورة التي شارك في صنعها هي رباعيته التي كتبها عندما أصابه انسداد فى شرايين القلب احتاج الى جراحة فى صيف ١٩٨١:

يامشرط الجراح أمانة عليك
وانت في حشايا تبص من حواليك
فيه نقطة سودة فى قلبي بدأت تبان
شيلها كمان.. والفضل يرجع اليك.

لقد كانت النقطة السوداء قد احتلت قلبه الكبير وراحت تكبر فيه وتنهشه هي نفسها النقطة التي اصابت قلب مصر مع جرح ٦٧ ومع رحيل ناصر وانهيار احلام الجيل الصاعد وتسليم السادات مفاتيح مصر للتيارات الدينية الظلامية التي أطفأت مصابيح مصر واحدا بعد الآخر وحاربت الفن والفكر والابداع والتحرر والمساواة والفرح والبهجة والانطلاق والغناء والرقص والمزامير، فكانت هي الخاتمة السوداء لاحدى أجمل فترات النهضة المصرية فى تاريخها الحديث.
سيظل جاهين صوتا مميزا مزهوا في الوجدان المصري الى الأبد.
فالشاعر الاصيل لايعرف موتا ولاصمتا.
وهو الذي قال:

دخل الشتا وقفل البيبان ع البيوت
وجعل شعاع الشمس خيط عنكبوت
وحاجات كتير بتموت فى ليل الشتا
لكن حاجات أكتر بترفض تموت.

لا يعرف عربي ولا شفقه
يروح ماضي بقلم باركر بلافرجي
اروح مرفود

اما في قصيدته "الزباين" فيقدم ويرسم صورة للبؤس الانساني الذي يضم ضحايا العمل الأسود المأجور.. فيقول:

اللي زيك، وبتشتغل بالأجره
واللي زيي، وله ماهية مسوجره
طول حياتنا نعرق على رغيف عيشنا
والنهارده، ما يفضش حاجه لبكره

وبلغة مبسطة ، مباشرة وعفوية كتب صلاح جاهين مجموعاته الشعرية ، التي عكست آلام وهموم البؤساء ومأساة الانسان الضائع المعذب الباحث عن احلامه الزنبقية.
ويشكل الحزن احدى خصائصه الفنية، وهو حزن ناجم عن امتزاجه بمختلف صور الوجود وأشكاله المأساوية. وفي الحقيقة ان الحزن والاكتئاب والموت تسلل الى عالمه ليغتال حبه وعشقه للحياة ، ويقتل احلامه الجائعة. فانعكست هذه الصور الحزينة الكئيبة في قصائده الى درجة انه يعجز عن التعبير عن جروحه وعذاباته:

وانا اللي مليان بالجروح
ما اقدرش اقول
ما اقدرش ابوح

وتتحدد المنطلقات الفكرية لصلاح جاهين وتظهر بوضوح في معظم قصائده، فنجده يطرح القضايا السياسية والفكرية والاجتماعية للفقراء والمستضعفين ، قضايا الخبز والعمل والحرية ن مؤكداً التزامه وانحيازه التام الى جانبهم من خلال دعوته للنضال ضد قوى البغي والظلم والاستبداد والطغيان ، ومن اجل الحياة والتغيير المنشود في مستقبل اكثر اشراقاً ونضارة:

شفتهم صبحهم كبار
مشيوا ويا الناس في عيد
وانا وياهم باغني الأناشيد
واحنا شايلين الرايات
واحنا ماشيين في المظاهرة
بنت مالت ناحيتي وادتني وردة
ورده حمره
قمت م القهوة سعيد
وباقول.. بكره اجمل من النهارده

ولا ينسى صلاح جاهين مأساة الشعب العربي الفلسطيني وقضيته العادلة ، فيتحدث عن آلام وبؤس اللاجئين الفلسطينيين الذين شردوا من ارضهم ووطنهم، ويعري الضمير الانساني الذي يقدم لهم فتات الخبز والطحين وفي الوقت نفسه ساهم في مؤامرة الترحيل والاقتلاع:

الحرب سحقت املهم
لما صبح في خيالهم
زي الرمال بيخوضوها
زي الطحين اللي جالهم
من الايادي السمينة
اللي رمتهم رهينه.

واخيراً، هذا هو صلاح جاهين الشاعر المصري. الصعلوك الذي شارك المقهورين والجياع فوق كل ارض،همومهم وقلقهم وبؤسهم وحلمهم بالعيش الرغيد ، والتحرر من كل اشكال القهر والاضطهاد ، وسيظل ارثه الشعري زاداً ومعيناً لكل الذين يناضلون لازاحة الليل عن صدور الشعوب.

الحوار المتمدن - العدد: ٣٢٣٢ - ٢٠١٠ / ١٢ / ٣١

ـ معقول حد يبقى اسمه احمد عدويه ؟

ـ ويعنى معقول حد يبقى اسمه بيتهوفن ؟

ـ بحق شمهورش طمهورش (٧مرات) وبحق العفريت ابـو ٣ شنبـــات .. إنقـل فى مخى حساب المثلثات !

ـ أى نعم الثورة قالت التعليم ببلاش .. بس ما قالتش « النجاح » ببلاش والا بفلوس !

- ما عملتش الواجب يعنى إيه .. انا عملت الواجب ونص قدمت لك قهوة وكازوزة كمان !

- لو كنا زى صوفيا لورين .. كنا قدرنا نخبى البرشام ده كله فى البلوزة !

- أوعى تقوليلهم انى مهندس ميكانيكى .. قولى ميكانيكى وبس :

ـ كل واحدة منا لازم تعبر فى المؤتمر عن القطاع اللى ها تمثله .. الفلاحة لازم تلبس طرحه وتشيل زلاعة .. والمدرسة تمسك مؤشر .. والعاملة تلبس أفرول .. وربة البيت فوطة مطبخ .. أما اللى هاتمثل الرأسمالية الوطنية فلازم تيجى لابسه مايوه !

ـ انت متأكد يابنى ان بقية الأطفال جابوا سوالف صرصار الدغ .. وقلب هدهد يتيم ؟

الملحمة المتناثرة: انطباعات عن رباعيات جاهين

الأسئلة والأجوبة والموقف العقلي من «الكون»

في بلد مثل مصر ، فيه كبار مُقعّدي الأدب الكلاسيكي الرافض لكلّ شيءٍ حداثي ، وفي مرحلة الخمسينيات : أي أثناء وجود طه حسين و العقاد وشوقي ضيف ومَنْ بهذه «الأوزان» في الأدب العربي ، كيف يُمكن أن ينمو الشعر العامي المصري ليصل الى مرحلة شعريّة رُبّما لم يصلها الشعر العامي العراقي على الرغم من دخول الحداثة النوّابية عليه منذ وقت مبكر ، فمؤرخو الأدب المصري يتفقون على أنّ عبد الله النديم ، يعقوب صنوع ، بيرم التونسي كانوا مؤسسي الشعر العامي المصري الحديث ، وبعدهم جاء دور العاميين (المثقفين) ◁ وهذا المصطلح أطلقه عليهم الشاعر عبد الرحمن الأبنودي !◁ وهم : سيد حجاب و صلاح جاهين وأحمد فؤاد نجم وعبد الرحمن الأبنودي ومَنْ عاصرهم ، اذ ان هذه المجموعة من الشعراء كانت تنتمي الى الأوساط الجامعية الثورية التي كانت وقتها بوتقة الثورية المصرية بفتراتها المختلفة...

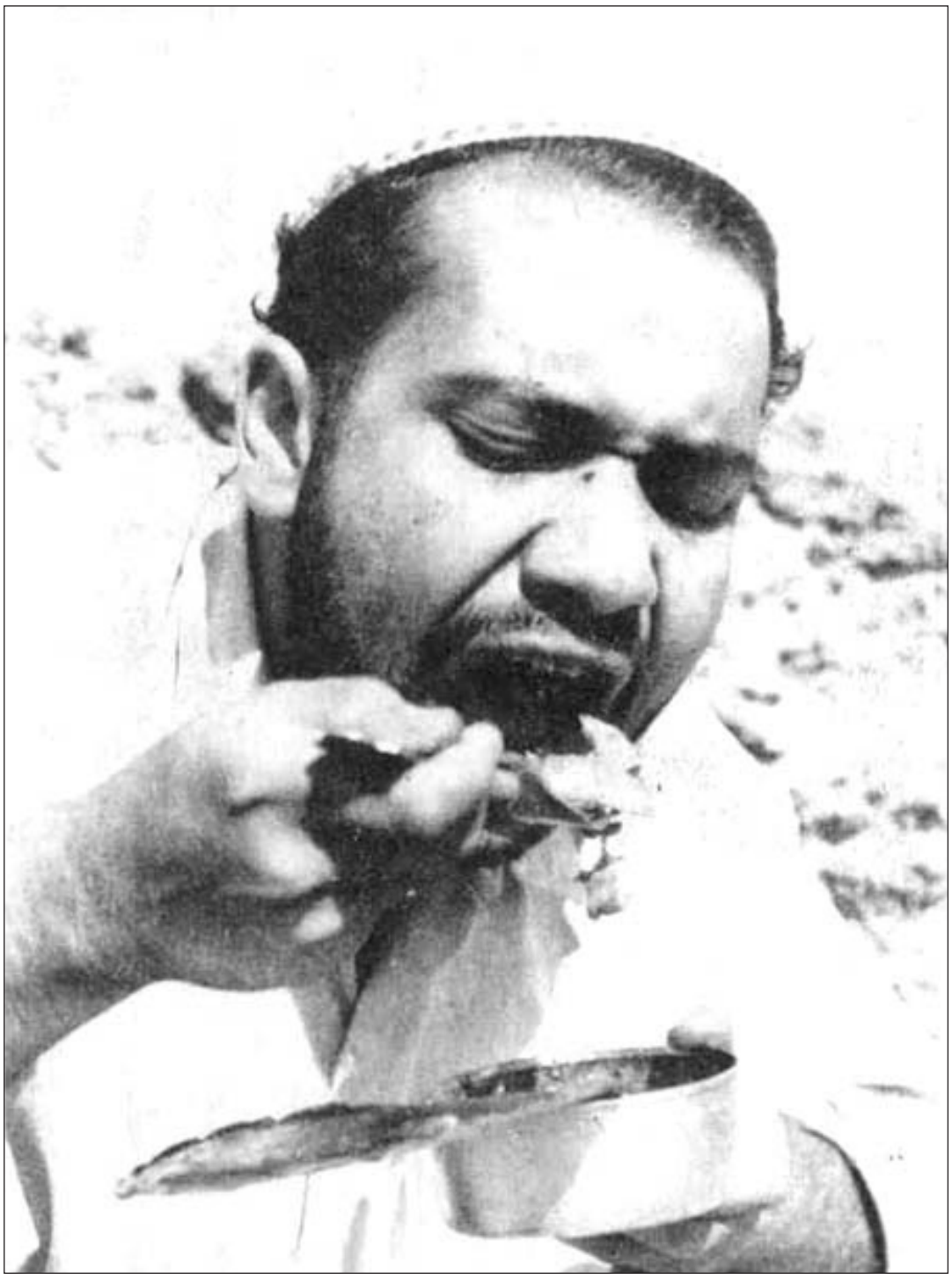

علي وجيه

بعد هذا كله : الشعر العامي وفي بداية الخمسينيات كان مسرحاً للسياسة المصرية ، فكيف يستطيع شاعرٌ انغمر بالسياسة الى هامته مثل صلاح جاهين بدواوينه الأولى (كلمة سلام ١٩٥٥ ، موال عشان القنال ١٩٥٦ ، عن القمر والطين ١٩٦١) ، نقول : كيف استطاع صلاح جاهين كتابة رباعيات لا تُكتب الا بأوضاع هادئة مليئة بالتأمل والتفكر في وقت كانتْ الأحداث تجرّ الشعر الى اتجاهات أخرى؟!..

هل نستطيع اعتبار رباعيات صلاح جاهين موقفاً انسانياً ثابتاً ازاء المتغيرات السياسية ، ولنا أن نقبل بتأويل رباعياته على الأوضاع السياسية آنذاك رُبّما ، خصوصاً وان بعض الرباعيات تشير الى ذلك بحسب فترة كتابتها (١٩٦٠ – ١٩٦٦) :...

انا كل يوم اسمع...فلان عذبوه
اسرح في بغداد والجزاير واتوه
ما اعجبش م اللي يطيق جسمه العذاب
واعجب من اللي يطيق يعذب أخوه
عجبي!!

فجاهين الناصريّ ، والمُنتكس بعد ١٩٦٧ ، له الدواوين والنصوص المفتوحة (شكلاً) ، أما جاهين الإنسان ، الذي يواجه الحياة بالأسئلة و الافتراضات العقليّة و الشعرية والشعورية فله الرباعياتَ ، وهذه وجهة نظر قد تخطئ وقد تصيب...

×××

والكون ده كيف موجود من غير حدود؟
وفيه عقارب ليه وتعابين ودود؟
عالم مجرّب فات وقال : سلامات
ده ياما فيه سؤالات من غير ردود
عجبي!!

رُبّما تشكّل هذه الرباعية – من الرباعيات الشهيرة للشاعر المصري صلاح جاهين – تمثيلاً شبه تام عن الآلية الفكريّة متعددة الأساليب التي يستخدمها جاهين في رباعياته التي كتبها في فترة ١٩٦٠ – ١٩٦٦ (والتي تُعدّ من أخصب فترات ابداع جاهين ففيها كتب أوبريت الليلة الكبيرة وأربع مسرحيات أخرى بالإضافة الى سيناريو فيلم خلي بالك من زوزو ذلك بالإضافة الى عشرات الرسوم التي ضمّتها أعداد مجلة روز اليوسف القديمة)...

دوما ما يترك جاهين القارئ بعد قراءة كلّ رباعية بصدمةٍ جماليّة لا تزول حتى ان تكررت قراءة الرباعية مرّةً أخرى ، فالرباعيات كانت مُتنفساً لجاهين بالإضافة الى تدفّق ابداعه ضمن روافد أخرى ، ونستطيع أن نعتبر الرباعيات انتاجاً «جاهينياً» خالصاً لم تؤثر عليه الأوضاع السياسية المحتدمة في مصر منذ الخمسينيات حتى وفاة جاهين...

صدرتْ الطبعة الأولى من الرباعيات عام ١٩٦٢ عن دار المعرفة المصرية ، ومنذ ذلك الوقت وهي تأخذ اهتمام النقّاد والقرّاء والموسيقيين على حد سواء ، فتناولتها بالنقد أسماء نقديّة مهمّة من أبرزها (جابر عصفور ، أحمد عبد المعطي حجازي وغيرهما) فيما كان آخر مَنْ غنّاها هو الفنان المصري وجيه عزيز عام ٢٠٠٨ بعد أن غنّى أغلبها الفنان علي الحجار وسيّد مكاوي ومحمد منير على الرغم من أن المستوى الغنائي ومُنذ السبعينيات بدأ بالإنحدار ، فماذا يصنع الشارع برباعيات مليئة بالتساؤلات الفلسفية؟!...

وهل بداخل كلّ متلق اعتياديّ فيلسوفٌ أو سائلٌ صغير؟!...

يستهلّ جاهين ديوانه برباعية تقول:

مع ان كل الخلق من أصل طين
وكلهم بينزلوا مغمضين
بعد الدقايق والشهور والسنين
تلاقي ناس اشرار وناس طيبين
عجبي !!

اذن : هذا هو المشهد الذي أرادَ جاهين اثباته أمامنا بوصفه «ساحة أحداث» رباعياته ، وحدة المنبع البشري ، والحال الواحد ، و النتيجة الواحدة المتناقضة :«ناس أشرار وناس طيبين»! ، هل أراد صلاح جاهين أن يكون شاعر

فلسفة عبر تساؤلاته التي قدّمها في هذي الرباعيات؟ ، هذا ما تشير اليه بعض الرباعيات ، أمّا باقي الرباعيات فهي كُتبتْ لمتلق اعتيادي يفهم ما يدور فيها ببساطة تامة دون أن تثير بداخله شيئاً من التعجب أو التساؤل:...

زحام وأبواق سيارات مزعجهْ
اللي يطول له طريق يبقى نجى
لو كنت جنبي يا حبيبتي أنا
مش كنت أشوف إن الحياهْ مبهجهْ؟
عجبي !!

١١٢ رباعية عدد الرباعيات التي تركها جاهين لنا ، مليئة بالأسئلة أو النتائج التي من الممكن أن نسلّمَ بها – كقرّاء – بعد المثال الذي يسرده ، فبعض الرباعيات تكون على وصف مشهدٍ معيّن يمرّ به المتكلم :

عيني رأتْ مخلوق على كتف أمه
يصرخ ، تهنن فيه ، يصرخ ، تضمّه
يصرخ ، تقول : يا ابني ما تنطق كلام
ده اللي ما يتكلمش يا كثر همّه !!
عجبي !!

ويعتمد جاهين هذه الآلية كثيراً ، فالرباعية لديه إمّا شديدة الخصوصيّة بحيث يستطيع تلبّس الحالة المطروحة أمامه كـ(رائي ، شاهد ، فاعل ، مُحاور) مُعطياً الزخم الواضح من أسئلته أمَام القضية المطروحة أمامه ؛ أو أنه يُعطي حُكماً عُموميّاً على مسألة كونيّة عامة يتكلم فيها كفرد اعتياديّ له عقلٌ كما لدى الملايين منَ البشر :...

لا تجبر الإنسان ولا تخيره
يكفيه ما فيه من عقل بيحيره
اللي النهار ده يطلبه ويرضاه
هو اللي بكره حيشتهي يغيّره
عجبي !!

×××

كتب النقّاد عن رباعيات جاهين انطباعات عدّة ، الا انها لم تُؤخذ على محمل الجد كنصوص الشعراء الباقين ، رُبّما لصعوبة امساك هذي الرباعيات ضمن سياق نقدي واحد ، فالنقد مع الرباعيات كان محاولة لخلق مقاربة تقترب من شيء يتّسم باللا أسلوب و اللا استقرار وهو رباعيات جاهين ، بالإضافة الى ان تكتّل الجملة الشعريّة لديه بصورة مضغوطة لا تتيح التجوّل نقديّاً بحريّة ، ويُمكن اعتبار رباعيات صلاح جاهين ملحمة متناثرة على عدد من المقاطع ويربطُ بين هذه القطع الصّغيرة خيط صغيرٌ وهو الأسئلة وبعض الحوادث ، اذ ان جاهين عكف في رباعياته على وضع صورته الشخصيّة كصلاح جاهين وكمواطن مصري و كانسان بالإضافة الى «طيف» سرديّ لا يبدو واضحاً للوهلة الأولىً انما يحتاجُ على قارئٍ يتلاعبُ بترتيب الرباعيات في ذهنه وليس عبر الكتاب المطبوع لديه...

الرباعيات احتوت على تناقض عظيم فيما يخصّ التعامل مع الحياة مع الأمل أو اليأس ، فبعض الرباعيات تريك جاهين انساناً متفائلاً في أحلك الظروف ، مُنادياً بالسعادة :

آه لو أنا ومحبوبي جزنا الفضا
بسفينة وحدينا وأشيا رضا !
ساعة صفا تعجبنا نرجع لها
والهم قبل ما يجي يبقى مضى
عجبي !!

وكذلك في عدد كبير من الرباعيات ، الا انه يفاجئك وبعدد أكبر منها بتشاؤم قد لا نراه حتى عند ابن الرومي ! فيقول :

ودخل الربيع يضحك لقاني حزين
نده الربيع على اسمي لم قلت مين
حط الربيع أزهاره جنبي وراح
واش تعمل الأزهار للميتين ؟؟
عجبي !!

وهذه لازمة التعجب (عجبي) التي لازمته طوال الرباعيات تشكّل موقفه الانساني تجاه الأمل والتشاؤم والغنى والفقر والقدر ، فهو يقول في رباعية ربّما تشكّل استهلالاً واضحاً لجميع الرباعيات [ما جعل سيد مكاوي يفتتح ويختتم بها الرباعيات المغناة] :

تعجب ما تعجب كل شيء له سبب
ولو الكلام من فضة والسكوت ذهب
والخشوع ذنب والخنوع أدب
يحق لك تعجب وما عليك عتب
عجبي !!

اذن : فقيمة الإنسان لدى جاهين هو أن يكون سائلاً و مُتعجباً وألاّ يقف أمام أسئلة الحياة عاجزاً عن الإجابة [ومن هذا المنطلق تزداد الأسئلة حدةً في كلّ رباعية] ، ونظراً لأنّ العالم شرٌّ كبيرٌ فعلى الأقل يجب على الانسان السؤال بعد أن تركه منقذوه !:

نوح راح لحاله والطوفان استمر
مركبنا تايهة ومش لاقية بر
آه من الطوفان وآهين يا بر الأمان
ازاي تبان والدنيا مليانة شر؟
عجبي !!

المسألة الأخرى التي من الممكن الانتباه اليها هو أوبريت الليلة الكبيرة الشهير ، فهذا الأوبريت الذي ينقل مشاهد الفرح بمناسبة (المولد) لا يخفي ظلاً واضحاً من التشاؤم بين السطور ، يصف جاهين في كتاب (الليلة الكبيرة و٥ مسرحيات أخرى) المفاصل الفلكلورية في المولد من الراقصات والمقاهي و الصعايدة القادمين الى العاصمة و الأطفال وما الى ذلك ، الا ان اللافت للنظر هو وجود شخصيات لا علاقة لها بأي من مظاهر الفرح والاحتفال ، فهناك صعيدي تائه يبحث عن مكانٍ معيّن فيقع بين أيدي ممن يسخرونَ منه ، وعلى الرغم من أن سيّد مكاوي غطّى هذا الضائع بموسيقاه الفرحة ، الا إن هناك مقطعاً واضحاً في المسرحية أزيل تماماً من الأوبريت وهو عن الأم التي ضاعت ابنتها في المولد :...

سيدة : يا اولاد الحلال
بنت تايهة طولها كده
رجلها الشمال
فيها خلخال زي كده
رجل : زحمه يا ولداه
كام عيل تاه
بائع : فرّيرة للعيل
يابو العيال ميّل
الجميع : دي الليلة الكبيرة يا عمي والعالم كتيرة

ماليين الشوادر يابه م الريف والبنادر
السيدة : يا اولاد الحلال.....

وينتهي الأوبريت بفرح الجميع وضياع ابنة السيدة ، ماذا اراد جاهين أن يقول لنا بهذا الأوبريت؟ أو في رباعياته؟ أو في رسومه؟ هل كان متشائما أم فرحاً بما لديه؟ مع العلم ان الأعمال التي تناولناها لم تكن بعد نكسة ١٩٦٧ التي هدمتْ جزءاً كبيراً من جاهين ، انما كانت قبل هذي الفترة ، وبالطبع لا يمكن لنا دراسة الرباعيات كجزء كامل ، فمشروع جاهين كان متشعّباً بين الشعر و باقي الفنون ، بالإضافة الى ان رباعياته طغتْ على جميع أعماله وكأن جاهين لم يكتب سواها أبداً...

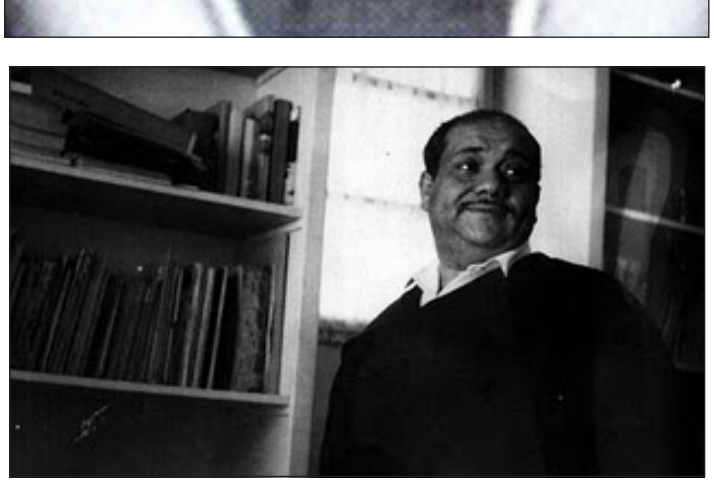

ايـــام صـــلاح جـاهـيـن

محمد توفيق

غلاف الكتاب انطلق فى طريق النجاح كالشهاب..لم يكن من المنافقين ولا أهل الثقة، لكن شعره الشعبي بشر بالثورة قبل أن توجد، و زكاه أنه عُرف ببعده عن الأحزاب، وهو من ناحيته و بتلقائية وإخلاص، كرس شعره للثورة، فما من إنجاز أو نصر أو موقف نبض به قلب الثورة إلا و أعطاه المعادل الشعرى فى أجمل صوره، ثم سرعان ما يترجم إلى غناء تردده الإذاعة و التليفزيون..تلك هي الصورة التي رسمها «نجيب محفوظ» برؤيته الثاقبة فى رواية «قشتمر» لعلاقة «صلاح جاهين»أو (طاهر عبيد بطل الرواية) بالثورة و رجالها، تلك الصورة التى التقطها «محفوظ» – وأكد لبهاء أنه استوحاها من شخصية والده – النافذة – لا تختلف كثيرا عن الواقع لأن «جاهين» أحب «جمال عبد الناصر» قبل أن يلتقيا، بل كانت أشعاره التي كتبها– و عمره لا يتعدى السادسة عشرة – دعوة صريحة للثورة و منها:

يا فتية النيل هبوا من ثباتكمو هيا ننادي بصوت واحد أحد
إما جلاء و إما لا قيام لنا إما فخار وإما ظلمة اللحد
لسنا نهاب الردى إن جاء يطلبنا إنا فداء لمصر درة الصمد

صاحب تلك الكلمات انتظر الثورة قبل قدومها ؛لذلك التقت أحلام المدينة الفاضلة التي تمناها مع أحلام النهضة لدى «عبد الناصر»، خاصة أن «جاهين» بطبيعته «ثوري الهوى» منذ أن كان طفلا يرفض أن يعيش في جلباب أبيه رغم عشقه له، لكن حين جاءت الثورة لم يقترب من صناعها، بل وقف ضدها عندما تخلت عن الديمقراطية في أزمة ١٩٥٤م، و ظل على موقفه من الثورة حتى عام ١٩٥٦م عندما قام «عبد الناصر»بتأميم قناة السويس، و يومها فقط قرر «جاهين» أن تكون أشعاره وقودا للجنود في ساحات المعارك فكتب قصيدة «موال عشان القنال»التي قال فيها:

يجعل كلامي فانوس وسط الفرح قايد
يجعل كلامي على السامعين بفوايد
يجعل كلامي لا ناقص ولا زايد
إحنا فى وقت البنا ماحناش وقت كلام
يجعل كلامي حجارة و مونة و حدايد
فين الكلام اللي زي الورد والحنة
أرميه سلام و أنقله مواويل تتغنى
على شباب انقتل فى حب أوطاننا
شال السلاح فى يمينه و قال يا بلدي
ندرن عليا لاخليكي ولا الجنة
وإن عشت يا مصر لامشيكي برجليا

وعندما أعلنت انجلترا و فرنسا و إسرائيل (العدوان الثلاثى) الحرب على مصر ذهب إلى الغذاعة مع سيد مكاوى وكتب قصيدته :

حنحارب هنحارب كل الناس هتحارب
مش خايفين م الجايين بالملايين حنحارب
حنحارب حتى النصر تحيا مصر تحيا مصر

وفي الحال لحنها سيد مكاوي وغناها كل من كان موجودا داخل مبنى الإذاعة فى هذه اللحظة لتذاع في نفس اليوم بعد خطاب جمال عبد الناصر من الجامع الأزهر، كانت هذه المعركة بمثابة الشرارة التى حركت وجدان «جاهين»، وجعلته يستغني نهائيا عن القلم «الجاف» و يستبدله بقلم «رصاص» ليكتب قصيدته الشهيرة «والله زمان يا سلاحي»لتصبح النشيد الوطنى لمصر حتى معاهدة كامب ديفيد (التي وقعتها مصر مع إسرائيل عام ١٩٧٩ وقيل أن من بين بنودها السرية تغيير هذا النشيد) وكان يقول فيها:

والله زمان يا سلاحي
اشتقت لك فى كفاحي
انطق وقول أنا صاحي
يا حرب والله زمان
والله زمان ع الجنود
زاحفة بترعد رعود
حالفة تروح لم تعود
إلا بنصر الزمان
هموا وضموا الصفوف

شيلوا الحياة ع الكفوف
يا ما العدو راح يشوف
منكم فى نار الميدان
مصر الحرة مين يحميها .. نحميها بسلاحنا
أرض الثورة مين يفديها .. نفديها بأروحنا
الشعب بيزحف زى النور
الشعب جبال الشعب بحور
وبركان غضبان بركان بيفور
زلزال بيشق لهم فى قبور

و بعد انتصار شعب القناة على العدوان الثلاثى، لم يتوقف حلم «جاهين» عند هذا الحد، بل طالب بأن نشارك فى تحرير أرض الجزائر فى قصيدة «الانتصار» حين قال:

فيه لسه ركن ف قلبى عاوز يبتسم
أرض الجزاير لسه تحت الاحتلال
أنا قلت مش ممكن بلادي تنقسم
أرض الجزاير جزء من أرض القنال

واستمرت رحلة نضال «جاهين» بالشعر الذى يقف بجوار الجنود فى ميادين القتال و زاد حبه لجمال عبد الناصر الذى رأى فيه صورة الزعيم الذى كان ينتظره منذ أن قرأ «عودة الروح» لـ«توفيق الحكيم» فى مكتبة جده و هو طفل فى حى شبرا – والتى آلت إلى والده بعد وفاة جده– و لكن فى الوقت نفسه لم ينس رفاق الدرب من المثقفين، و عندما صدرت قرارات باعتقالهم ذهب لأسرهم و ساندهم ماديا و معنويا، رغم أن ذلك تسبب له فى حرج شديد، حتى إنه تم التنبيه عليه بعدم تكرار تلك الزيارات و إلا سيتم وضع اسمه ضمن القائمة المطلوب اعتقالها باعتباره من أعداء الثورة ! لكنه رفض، وبالفعل تم وضع اسمه فى قائمة الاعتقالات أكثر من مرة، و لكن تدخل «عبدالناصر» وشطب اسمه بنفسه – مثلما أكدت لنا أخته بهيجة – ليستمر «جاهين» الى مساندته لأسر المعتقلين و ليظل أيضا سندا لحلم النهضة الذى كان يكبر يوما بعد يوم، و تشاء الأقدار أن العام الذى دخل فيه التليفزيون مصر وتم الاتفاق على إذاعة احتفالات الثورة بعيدها أن يكون «جاهين» فى رحلة فى إيطاليا، و يشتد حبه للعودة إلى مصر فيكتب رائعته «بالأحضان» لتكون بمثابة نقلة فى الأغنية الوطنية التى كانت قبله مجرد أناشيد، لكن «جاهين» كان يرى أن الأغنية الوطنية يجب أن تكون عاطفية حتى تنجح، و يستمر نجاحها لسنوات طويلة ؛ لذلك بعد نجاح «بالأحضان» أصبحت كلماته واحدة من مظاهر الاحتفال بعيد الثورة.

كان الثلاثى (عبد الحليم حافظ و كمال الطويل و جاهين) يلتقون فى بداية شهر يونيو من كل عام لتحضير أغنية جديدة، و ظل الثلاثى على العهد حتى مرض والد «جاهين»بالسرطان، ولم يتحمل «صلاح»الخبر و اختفى تماما و حاولت أسرته الوصول إليه دون جدوى لمدة عشرة أيام، بعدها أقسمت «بهيجة»أخته أن «حليم هو اللى مخبيه»، فذهبت إلى بيته و قالت له «عاوزين صلاح ضرورى، أبوه تعبان و محتاج يشوفه و أنت مخبيه عندك»، فقال حليم: « و الله هو ما عندى و لا حتى شفته.. ادخلى دورى عليه، و عموما أنا هجيبه لحد عندك»، و بالفعل أحضره فى اليوم التالى بعد أن نشر إعلانا فى الأهرام يقول «ارجع يا صلاح.. أهلك بيدوروا عليك»..عاد جاهين لبيته على الفور و عرفوا أنه كان فى الإسكندرية لأنه كان لا يتحمل أن يرى أحداً من أقاربه مريضا، فما بالك بوالده.

تتابعت الأغانى الوطنية من «على رأس بستان الاشتراكية» و«المسؤولية» مرورا بـ«صورة » و «ثوار» و صولا إلى «يا أهلا بالمعارك» التى كتبها قبيل النكسة، تلك الفترة التى وصفها «جاهين» بقوله: منذ عام ١٩٦٧م وأنا أعانى من حالة اكتئاب حادة، و الاكتئاب عندى ليس فترة، لكنه حالة كاملة تنتابني و تهاجمنى فى و قت معين، و حتى أكون دقيقا فى حديثى، فلقد عانيت ما عانته مصر كلها من فترة اكتئاب من ١٩٦٧م وحتى نصر ١٩٧٣م، فالنكسة عندما حلت بمصر حلت بكل شىء..نكسة فى الحياة، فى أعماق البشر، فى الشعر، فى الغناء، فى كل شىء. أنا كمصرى تأثرت بهذه النكسة، و كفنان تأثرت أكثر و أكثر؛ لأن قبل النكسة كان هناك شىء نغنى له: الثورة، الأمل، المستقبل..أشياء كثيرة؛لذا كنت أكتب و أكتب و أغنى، والناس كلها تغنى معى، وكل الشعراء يغنون فيجدون أصداء غنائهم عند الناس، ولكن هذا كله توقف عام ١٩٦٧م.

مع صلاح جاهين

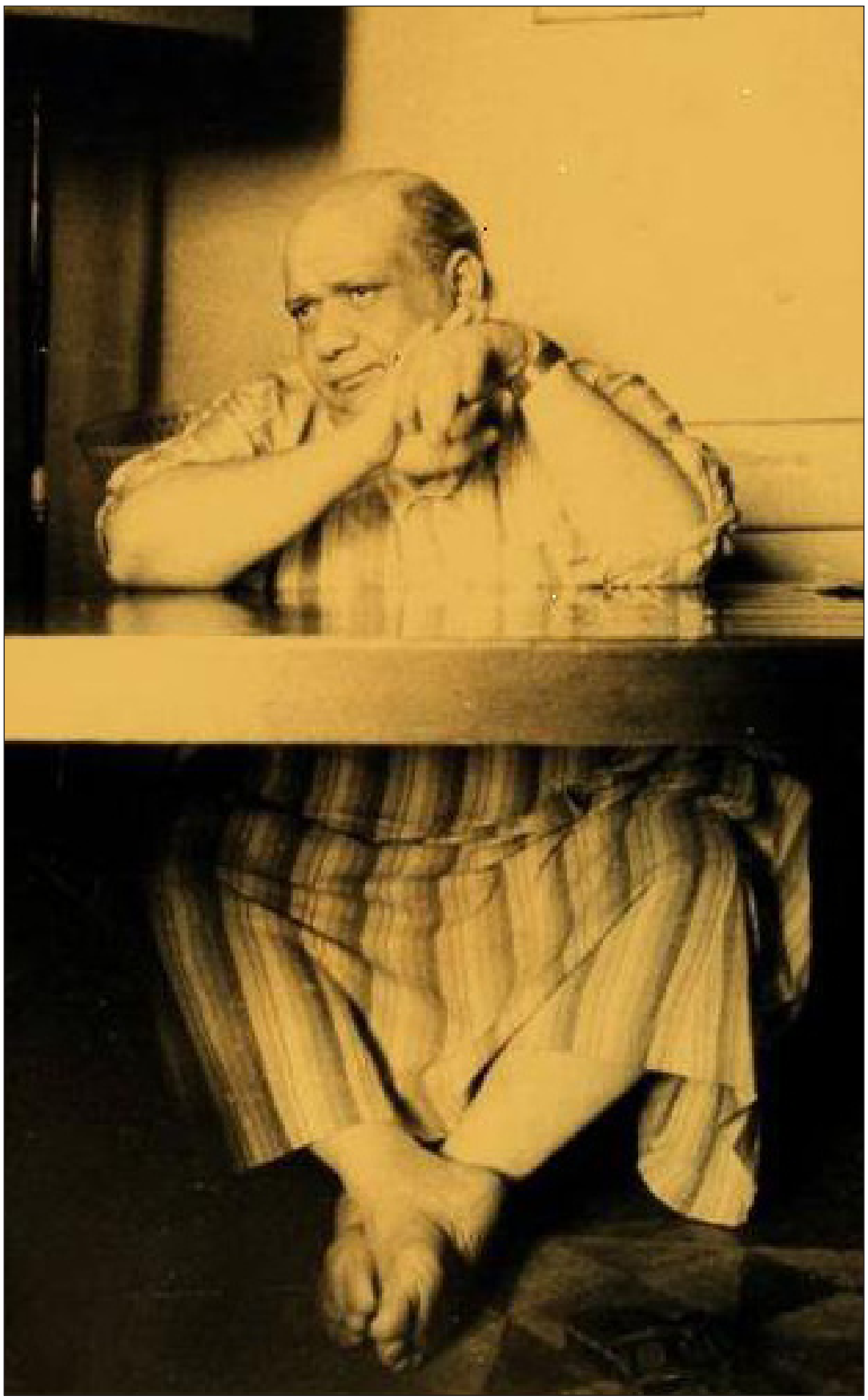

جورج بهجوري

في أوائل الخمسينيات بدأ صلاح جاهين معنا نحن طلاب الفنون الجميلة يقول أو يردد أشعارا وأزجالا شعبية في فناء الكلية، ثم اختفى وقالوا لنا إنه التحق بالجامعة كلية الحقوق ليدرس القانون، لأن والده مستشار كبير ويريد ابنه في ذات المجال ثم عاد معنا في موالد إمبابة وأبو العلا يصعد المسرح ويقدمه الفنان والرائد الشعبي زكريا الحجاوي .. يصفق الجمهور لصلاح جاهين الشاعر الشعبي الضاحك في كلماته منتصف الطريق بين السخرية والحكمة.

في هذه الأثناء جاءت تجربتي المبكرة في «روزاليوسف» بإرشاد الفنان الأملعي أبو العينين لأكون الولد الرسام محاولة مني لأكون في الطليعة ومعي أسلوب جديد في الرسم ومازلت أدرس مع أستاذي بيكار في كلية الفنون.

غرفة الرسم في المجلة في شقة بسيطة شارع محمد سعيد من القصر العيني تزدحم قاعتها طول النهار والمساء بأصحاب أقلام من صحفيين جدد لمعوا في تاريخ الصحافة. نقطة الضوء في المجلة هو رئيس تحريرها «إحسان عبد القدوس» ومعه «أحمد بهاء الدين»، و«ممدوح رضا» و«سامي الليثي» دخل أحدهم غرفتنا للرسم وأنا تحت أباجورة صغيرة وقال لي تعالي الصالة الكبيرة للتحرير يقدم لنا زكريا الحجاوي فنان جديد تعالي اسمع أشعاره وأزجاله وانسابت الكلمات من فم شاب سمين تقطر كلماته عسلا من حرية الرأي والسخرية والحكمة، وصفق له الجميع وزكريا الحجاوي يقول: أقدم لكم موهبة تغزو قلوب المصريين لزمن كامل .. كانت نبوءة الحجاوي حقيقية .

لكني عدت إلى مكتبي أرسم ما طلبه مني سكرتير التحرير على وجه السرعة إلى المطبعة .. حتى شعرت به يتأمل رسومي بأسلوبي الجديد، ويتابع خلف يدي حركة الخط والقلم والذراع ليقول لي بعض النقد.. ثم يختفي.

لم أكن قد تعرفت حتى الآن على الرسام صلاح جاهين، وكنت قد فهمت أنه ترك كلية الفنون إلى الحقوق ثم غير رأيه مرة أخرى.

اشتركت في هذه الأثناء مع زملاء من اليسار في دار الفكر وقدمت لهم رسوما لكتاب جديد عن بورسعيد بعد العدوان الثلاثي، وعندما دخلت هذه الدار التي يرأسها إبراهيم عبد الحليم أدخلني أحد المكاتب يجلس على أحدها صلاح جاهين ورسومي عن بورسعيد حوله حتى إني استعنت ببعض كلماته «يا أم البطل يا أم الشهيد»، وتأثرت جدا في هذا اللقاء لأنه يختار من رسومي الأفضل ليضعه على الغلاف ومقاسات يدونها إلى المطبعة .

شعرت بإنكار ذاته وكرمه مع فنان آخر بالكاد يعرفه .

ثم بدأت صداقتنا الحقيقية مع بداية «صباح الخير» قبل العدد الصفر الذي يعد له المخرج الفنان حسن فؤاد الذي اكتشف فكر وموهبة صلاح جاهين ليكون أحد نجوم فن الكاريكاتير، ويختار له أهم الزوايا والصفحات لتصدر مع العدد الأول.

وكان معنا قاموس لألف نكتة رسمها كبار رسامي العالم أحضرته معي بتوصية من حسن فؤاد .. لأن دعوتي إلى برلين كولد رسام جديد لأرسم هذه المرة في برنامج تليفزيوني علي الزجاج بأصابع شمع سوداء في برلين .

هذا المجلد الضخم الذي يحوي ألف نكتة بأساليب عالمية هو نواة فن الكاريكاتور في «صباح الخير» لأننا قدمنا ريشات مميزة لها صفة خاصة وتفوقنا في الأساليب المحلية، ومذاق الكاريكاتير المصري في صباح الخير، ولمع بيننا أحمد حجازي ورجائي وإيهاب وبهجت، ولذلك أؤكد الآن إلي الذين غضبوا مني عندما قلت هذه المعلومة عن نقل بعض أفكار الكاريكاتير العالمية المذكورة في هذا القاموس . لكنه شيء طبيعي جدا، لأن عبد الوهاب الموسيقار مثلا يستمع إلى الموسيقا العالمية الكلاسيكية ثم يؤلف موسيقاه أو ما يصاحب أغنيته الجديدة . سنوات طويلة، ونحن في غرفة واحدة مع حلمي كامل ومأمون وحجازي ورجائي وبهجت .. إلا أن ركن صلاح جاهين على طاولته يرسم صفحتي الدوبل كل أسبوع هو بريق النجاح الكبير الذي أصبح هو رائده ومبدعه في أفكار لامعة جدا لها تلخيص للمجتمع المصري والشباب والشعب عامة. فقد اختارت صباح الخير له زاوية قهوة النشاط في الصفحة الأولى، وتوالت الصفحات بعد ذلك قيس وليلى «الحب الأفلاطوني»، بالإضافة إلى رباعياته كل أسبوع أما زاوية الهيكل العظمي ونادي العراة فلم يوفقاها

وأذكر في هذه الفترة أن مرض زميلي صلاح بالأنفلونزا وأمامه نكت الدوبل وهو غارق في عرق غزير ورعشة.

وكان لابد من التسليم للمطبعة في ساعة واحدة .. أخذت من صلاح جاهين الصفحتين وهما بالقلم الرصاص وقلت له : أرجوك أنت ترتاح في البيت وأنا سأكمل تحبير الرسوم بنفسي فاطمئن حدث ذلك مع تحيات الزملاء، هذه الروح الجميلة في أسرة صباح الخير في بدايتها ونجاح توزيع المجلة أضاف إلى الدار إيرادا ضخما، فقررت الإدارة منح صلاح جاهين علاوة على مرتبه ١٠ جنيهات، ولكنه رفض وقال أوافق علي شرط أن زملاءي الرسامين يعاملون بالمثل .. وعندما صعدنا إلى الخزينة وجدنا علاوتنا جميعا حجازي ورجائي وبهجت وإيهاب

محبتي له ولذكراه الآن لا مثيل لها وسبب الخلافات الصغيرة وزوبعة كتاب الرسوم الممنوعة الذي نشرته بسببها أني كنت في باريس فترة طويلة بعيدا عن الأجواء الصحفية المصرية وأن بعض الصحفيين والمثقفين تصوروا أني رسمت بعده وليس قبله .

بل إن القدر أعطاني هدية هو صاحبها عندما نجحت أزجاله وأشعاره للغناء مع عبد الحليم وكمال الطويل، فكانا يحضران تباعا إلى المجلة وإلى غرفة الرسامين ولا يجدوا رساما ساهرا سوي أنا فتكونت صداقتي معهما ويرجع الفضل في هذه الصداقة إلى الصديق العزيز صلاح جاهين .. كما أن أكبر لوحة في مرسمي بالألوان الزيتية هي بورتريه صلاح جاهين بريشتي أريد في مناسبة قادمة أن أقدمها هدية لبهاء جاهين.

صلاح جاهين: الفيلسوف الضاحك الذي قتله الحزن.. ولم تصطبغ حياته باللون الـ «بمبي»

يا عندليب ماتخافش من غنوتك
قول شكوتك واحكي على بلوتك
الغنوه مش حتموتك..... إنما
كتم الغنا هو اللي ح يموتك

أحمد رجب شلتوت

هكذا نصح العندليب بأن يقاوم الموت بالغناء، وكان للنصيحة أحوج، حينما انهارت أحلامه فقد القدرة على الغناء، فسقط فريسة للاكتئاب الذي لازمه حتى الموت. فالذي ارتوى قلبه بالنشوة، أصبحت السعادة بالنسبة له كرباج « قلبي منه انجلد» كما قال في واحدة من رباعياته، وقال في أخرى

أنا شاب لكن عمري ولا ألف عام
وحيد ولكن بين ضلوعي زحام
خايف ولكن خوفي مني أنا
أخرس ولكن قلبي مليان كلام

رباعياته العبقرية كشفت عن تغلغل الحزن في الروح التي تسربت من الجسد البدين تدريجيا حتى فارق الحياة في الحادي والعشرين من إبريل عام ١٩٨٦. فالوحيد الأخرس أصبح مرغما على الحياة التي طالما عشقها وتغنى لها، قال:

مرغم عليك يا صُبح مغصوب يا ليل
لا دخلتها برجليَّا ولا كان لي ميل
شايلني شيل دخلت في الحِياه
وبكره ح أخرج منها شايلِني شيل

صاحب الرباعيات

هو محمد صلاح الدين بهجت حلمي أحمد حلمي جاهين، الشهير بـ«صلاح جاهين».

ولد في ١٩٣٠/١٢/٢٥ م بحي بشبرا في شارع جميل باشا، وهو الأكبر بين إخوته. والده المستشار بهجت حلمي الذي تدرج في السلك القضائي حتى عُين رئيسًا لمحكمة استئناف المنصورة.

كانت ولادته متعثرة ويقال أن الولادة المتعثرة تترك آثارها على المولود فتلازمه طول حياته وقد تتسبب في عدم استقرار الحالة المزاجية عنده، وهو ما لوحظ على صلاح جاهين الذي كان يفرح كالأطفال ثم يحزن لدرجة الاكتئاب. وإن كنت أعتقد أن حزنه يرجع لهزيمة يونيو١٩٦٧ ثم رحيل عبد الناصر في سبتمبر ١٩٧٠، فقد آمن بالثورة وأحب زعيمها وغنى لهما، وانكسر بانكسارهما.

في طفولته كان نادرا ما يغادر أمه، التي كانت تروى له القصص العالمية والأمثال الشعبية، فعملت على غرس كل ما تعلمته من دراستها في مدرسة السنية، ثم عملها كمدرسة للغة الانجليزية في طفلها الذكي الذي تعلم القراءة في سن الثالثة. كما لعبت مكتبة جده السياسي والكاتب أحمد حلمي (شارع أحمد حلمي بشبرا يحمل اسمه) – زميل ورفيق الزعيمين مصطفى كامل ومحمد فريد .لعبت تلك المكتبة دورًا كبيرًا في إتاحة مجموعة كبيرة من الكتب في شتى المجالات أمام القارئ النهم. وقد تعلم من والدته أيضا صناعة بعض الألعاب من الطين أو الصلصال، كما شجعته على ممارسة الرسم بعد أن لاحظت تعلقه بهذا الفن.

منعطفات

أراد له والده أن يكون مثله مستشارا فأرغمه على دخول كلية الحقوق فتعثر في دراسته، حتى أنه قضى في السنة الأولى ثلاث سنوات متتالية حتى لحقته أخته ونجحا معًا في السنة الأولى والثانية. ولكن لم يستطع صلاح جاهين أن يكبت بركان الفن داخله أكثر من ذلك، فقرر ترك الحقوق ودراسة الفنون، أسفر عن مشادة عنيفة بينه وبين والده.

بعدها غادر صلاح جاهين المنزل دون إطلاع أحدًا على مقصده. فتوجه لبيت الفنانين بوكالة الغوري ثم سافر لعمه بغزة، وقضى فترة هناك عاد بعدها إلى القاهرة حيث قرأ إعلانًا عن وظيفة مصمم مجلات بالمملكة العربية السعودية، فتقدم لها ثم سافر دون أن يخبر أحدًا، ولم يعلم والديه إلا بعد سفره بالفعل. ولكنه عاد مرة أخرى لمصر بعد أن تلقى خطابًا من والده يحثه فيه على العودة. ورغم التحاق صلاح جاهين بكلية الفنون الجميلة بعد ذلك إلا انه لم يكمل الدراسة بها أيضًا.

وبعد عودته بدأ حياته العملية في جريدة بنت النيل، ثم جريدة التحرير. وفى هذه الفترة أصدر أول دواوينه «كلمة سلام» في عام ١٩٥٥. وفى نفس الوقت بدأت شهرته كرسام كاريكاتير في مجلة روزاليوسف، ثم في مجلة صباح الخير التي شارك في تأسيسها عام ١٩٥٧، واشتهرت شخصياته الكاريكاتورية مثل قيس وليلى، قهوة النشاط، الفهامة، درش وغيرها من الشخصيات. وقد تسببت رسومه الكاريكاتورية أكثر من مرة في أزمات سياسية كان من أبرزها اختلافه مع الشيخ الغزالي بالكاريكاتير عند مناقشة مشروع الميثاق في عام ١٩٦٢، فاستباح طلاب الأزهر دمه وتظاهروا أمام جريدة الأهرام مرددين هتافات ضِده. كما أجرى معه المدعى العام الاشتراكي تحقيقًا بسبب رسم كاريكاتيري انتقد فيه تقريرًا حول نتيجة التحقيق في شأن تلوث مياه القاهرة.

الوهج

لم تتوقف أعمال صلاح جاهين الشعرية رغم عمله كرسام كاريكاتير، فأصدر ديوانه الأول «كلمة سلام» عام ١٩٥٥، ثم ديوانه الثاني «موال عشان القنال» عام ١٩٥٧ وفى نفس العام كتب «الليلة الكبيرة» التي لحنها له سيد مكاوي أحد أقرب أصدقائه.

ومثلت الفترة الممتدة من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٧ فترة النضج الشعري عند صلاح جاهين والتي بلغت قمتها بصدور ديوانه «الرباعيات» عام ١٩٦٣، ثم عام ١٩٦٥ حين أصدر ديوانه «قصاقيص ورق»، وخلال تلك الفترة كتب صلاح جاهين أروع أعماله الوطنية التي تغنى بها العديد من المطربين ومنهم عبد الحليم حافظ مثل «صورة»، «بالأحضان»، «والله زمان يا سلاحي» الذي اتخذ النشيد الوطني المصري إبان حكم الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، وغيرها من الأعمال الوطنية التي بقت راسخة في ذاكرة الشعب المصري. وفى الفترة ذاتها كون صلاح جاهين جماعة «محبي ضوء القمر» عام ١٩٦١، كما قدم العديد من المسرحيات مثل «القاهرة في ألف عام»، وكتب الأغاني والأشعار للعديد من المسرحيات مثل «إيزيس»، و«الحرافيش»، ولم يتوقف إنتاجه عند الأعمال المحلية، بل قام بالترجمة والإعداد مسرحيًا لبعض المسرحيات الأجنبية مثل «الإنسان الطيب»، «دائرة الطباشير القوقازية». أيضا كتب الأغاني للعديد من الأعمال الإذاعية مثل مسلسل «رصاصة في القلب». وقدم للأطفال عدة أعمال مثل مسرحيات «الفيل النونو الغلباوي»، «الشاطر حسن»، «صحصح لما ينجح»، «حمار شهاب الدين»، لذلك اختارته وزارة الثقافة – عام ١٩٦٢– ليكون مسؤولًا عن ثقافة الطفل.

وانضم صلاح جاهين في مارس ١٩٦٤ لأسرة جريدة الأهرام ليكمل مسيرته فيها. كما نال وسام الفنون في عيد العلم عام ١٩٦٥. وعن هذه الفترة أجاب عندما سُئل عن أجمل فترات العمر: «هي الفترة ما بين عام ١٩٦٣–١٩٦٧ الفترة دي كانت الذروة في حياتي».

الفيلسوف

ينفرد جاهين بخاصية تمنح شعره – على بساطته وعاميته– بعدًا فلسفيًا لا مثيل له لدى شعراء العامية الآخرين، ويتجلى خصوصًا في رباعياته حيث نجد أصداء لفلسفة سارتر الوجودية ولمواقف ألبير كامو في اغترابه ولجرأة نيتشه الذي لم تكن فلسفته سوى شعر مكثف. بالإضافة إلى نهل جاهين من التراث الفلكلوري المصري والعربي الإسلامي والمسيحي. ومزجها كلها في صوت صادق متفرد هو صوته وحده. ولننظر إلى بعض رباعياته التي يمكن اعتبار كل رباعية منها أطروحة فلسفية كاملة تطرح كل منها أحد الأسئلة الوجودية الهامة في تصوير بالغ الإيجاز والإيحاء والدهشة.

الانطفاء

تداعت أحلام صلاح جاهين بهزيمة يونيو١٩٦٧، وتبددت تماما برحيل عبد الناصر، سقط شاعر الثورة في براثن الإحباط، فلزم الصمت (أخرس ولكن قلبي مليان كلام)، وما بقى من إنجازات عبد الناصر تعرض للتشويه حتى السد العالي طالته الحملة الساداتية المسعورة وحاولت الحط من شأنه. لم يجد الشاعر مكسور الحلم وسيلة لإفراغ طاقاته المكبوتة إلا في كتابة أغاني أفلام سعاد حسني مثل «خلي بالك من زوزو» و«أميرة حبي أنا». تندر المثقفون على « قفل لي على كل المواضيع» نعوا الشاعر الجميل لكنه قبل رحيله بعامين أصدر ديوانه الأخير «أنغام سبتمبرية» عام ١٩٨٤.

ولما سأل سبتمبر؟ أجاب: «ربما لأن عواطفي تعودت أن تجيش في سبتمبر من كل عام منذ أن كان الفيضان يأتي في هذا الشهر محملاً بعطر يملؤني بنشوة عجيبة ورغبة خفية في الارتواء والاحتواء، أو ربما لأن عبد الناصر مات كمدًا في سبتمبر. «أنغام سبتمبرية» كانت ديوانه الأخير ولقارئه أن يتساءل: هل كانت قصائده هي تغريدة البجعة حينما تستشعر قرب الرحيل، وهل كان صدفة أن ينتهي الديوان بالكلمات التالية:

آدي اللي كان وادي القدر
وادي المصير
نودع الماضي وحمله الكبير
نودع الأفراح
نودع الأشباح
راح اللي راح، ماعدش فاضل كتير.

manarat

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم

التحرير
نزار عبد الستار
التصميم
مصطفى جعفر

صدى

طبعت بمطابع مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

باحب الغابر، واموت فى التُرب .

هنالك ، زى حى الغنا فى الدور الجميل .

هنالك ، زى شط البحور فى النسيم العليل .

هنالك ، الحبيب .

هنالك ، تمشى تسمع لرجلك دبيب عالى يرضى الغرور .

هنالك ، كله راقد ، مفيش غيرك انت اللى واقف فخور

وأما الزهور ..

هنالك ، إلتفاتك على الأرض ، يا مسورقه يا بتحتضر

تجيب أدوات العطور ،

وتصنع عطر - اسمه شاعر "عبير العبر" -

تبيعه وتكسب ذهب .

وتعدى على العظم وتقول كلام فلسفة ،

وتحلل كتب .

وده غير الثواب اللى تقدر كمان تكسبه ،

من الفاتحة ع الميتين .

فنظر عبارة ونظر استفادة ، ونظر أدب .

لهذا السبب .

يا حبيب الغابر ، لكيه

- بعقلى الزين -

يا حبيب البيوت ، واللى فيهم زيارة ؟

فبراير ١٩٦٣